

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الثامنة - العدد الثاني والثلاثون - شتاء ١٣٩٧ش / كانون الأول ٢٠١٨م

صص ١٠٦ - ٧٧

حسبيات ابن زيدون بين الإبداع والتقليد

طبية سيفي*

الملخص

شعر الحسبيات أو شعر السجون قديم في الأدب العربي قدم الشعر والأدب؛ لأن بعض الشعراء نزلوا السجن لعلّة ما وذاقوا طعم السجن المرّ وانعكست هذه التجربة المرة منذ القدم في شعرهم وأدت إلى غليان عاطفة الشاعر وخياله بشكل خاص بحيث نجد صداها في أشعارهم. وهذا النوع الأدبي في الحقيقه يدل على إحساس الشاعر الصادق وشعوره الرقيق كما هو مملو بالحزن والألم ويصور حياة الشاعر في السجن. إذن قام بعض الشعراء العرب بتصوير تجربتهم الذاتية مستعينين من هذا النوع الأدبي في العصور المختلفة، من بين هؤلاء ابن زيدون الشاعر الأندلسي المرموق الذي أُتهم بالتدبير لقلب نظام الحكم، والميل إلى عودة الخلافة الأموية، فسعاية الوشاة والأعداء أدى إلى سجنه، حيث نجد صدى حياته المرة التي قضاها في السجن وبالتحديد في خمس قصائد رائعة والتي وردت متناثرة في ديوانه. وهذه القصائد لم تدرس بعد دراسة مستقلة رغم جمالها وفصاحتها؛ لذلك يسعى البحث دراسة الموضوعات والمضامين لهذه القصائد وتحليلها اعتماداً على المنهج الوصفي - التحليلي حتى تقدّم للقارئ والمتلقّي إبداع الشاعر من حيث الموضوع في نظم هذه القصائد وتقليده كما كشف نظرة الشاعر إلى هذا النوع من الشعر الغنائي. ومن أبرز النتائج التي وصل اليها البحث هو أن تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة يعد من أهم معالم التقليد عند ابن زيدون في حسبياته ولقد مزج الشاعر هذه القصائد بمشاهد الطبيعة ومناظرها بالتأثر من بئية الأندلس وطبيعتها النضرة وهذه هي من معالم الإبداع عنده حيث يمكن أن نقول بأنه لم يلق شعر الشرق في نظم حسبياته فحسب بل نجد أحيانا عنده شيئاً من الإبداع.

الكلمات الدليلية: الحسبيات، أندلس، ابن زيدون، السجن، الإبداع، التقليد.

* أستاذة مساعدة في اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد بهشتي، طهران، إيران

seyfie_288@yahoo.com

تاريخ القبول: ١٣٩٧/١٢/٨ش

تاريخ الاستلام: ١٣٩٧/٦/٥ش

المقدمه

من التجارب المرة التي جرّبها بعض الشعراء العرب في حياتهم من العصر الجاهلي حتى يومنا هذا، تجربة السجن إذا قضى بعضهم مدة من حياتهم في السجن وذاقوا طعم هذه التجربة المرة والتي أدت بدوره إلى ظهور نوع من الشعر في داوينهم والذي سمى بالحبسيات أو شعر السجن.

كان الأدب العربي في الأندلس عامة والشعر خاصة مرآة صافية للأدب العربي في الشرق وكما يقول أحمد غراب «إن الأديب والشاعر الأندلسي كان محدود الإطار الفكري إذا ما أراد أن ينظم قصيدة أو يتناول أحد الأغراض حيث تجده يبدأ محاكياً مقلداً وسائراً مجذراً على نمط الشعر الشرقي.» (أحمد غراب، ٢٠١١م: ٥١) أو على حد قول شوقي ضيف: «إن الشاعر الأندلسي لم يحاول أن يُخضع الشعر العربي لشخصيته، بل رأيناه يخضع له، ويخضع لموضوعاته المعروفة في الشرق كما يخضع لأفكاره ومعانيه وأخيلته وأساليبه.» (ضيف، لاتا: ٤٣٩)

كذلك هذا الشعراء في هذه الديار حذو شعراء الشرق وظهر شعراء مرموقون نظموا أشعاراً في الأغراض المختلفة ومنها الإستعطاف و«هي قصيدة تدور أكثر معانيها عادة على ترفق الشاعر في الاحتجاج على براءة ما نسب إليه واستمالة قلب المستعطف أو المتعذر إليه والتذكير بسالف ولائه أو خدماته، ووصف ما يعانيه في سجنه من ضروب الإعنات والحرمان إن كان سجيناً.» (عتيق، لاتا: ٢٣٠) و«قد نبغ في الأندلس شعراء استطاعوا أحياناً أن يجاروا الفحول من شعراء المشرق في بعض الأغراض.» (الركابي، ٢٠٠٨م: ٨٧)

منهم ابن زيدون والذي لُقّب ببحتري الغرب ونظم في الأغراض المختلفة بالتقليد عن شعراء المشرق. ومن جانب آخر نزل الشاعر السجن فذاق طعم السجن مدة من حياته وهذه التجربة المرة أدت إلى ظهور خمس قصائد بديعة في الشكوى والاستعطاف والتي وردت في ديوانه متناثرة ولكن جمعها جودت الركابي في كتابه في الأدب الأندلسي تحت الغرض الشكوى والاستعطاف وتعتبر هذه القصائد من الأشعار الغناية للشاعر كما تعد من أشعار الحبسيات ولكن هذه الأبيات الغنائية الرائعة لم تدرس بعد دراسة

مستقلة رغم أهميتها وجمالها ورقتها ومن جانب آخر كان الشاعر يحاكي شعراء الشرق وكان مقلداً منهم كغيره من شعراء الأندلس ونظم الشعر في الأغراض المختلفه تقليداً منهم. من أجل ذلك قامت الباحثة بالتحليل المضموني ودراسة الموضوعات في أشعار الحسبيات في ديوانه حتى تكشف وجوه إبداع الشاعر في نظم الحسبيات ومدى تأثيره من شعراء المشرق في هذه الأشعار ضمن تحليلها ودراستها اذن يسعى البحث الإجابة عن هذه الأسئلة:

١- ما هي الأفكار والموضوعات والمضامين التي اعتنى بها الشاعر في نظم الحسبيات؟

٢- ما هي إبداعات الشاعر بالنسبة إلى الأقدمين من حيث الموضوع؟

٣- ما هي معالم التقليد والإبداع عند الشاعر؟

خلفية البحث

لقد درس الباحثون أشعار الحسبيات للشعراء العرب المرموقين وظهر هذه البحوث إما بشكل كتاب منه: «حسبيه سرايى در ادب عربى از آغاز تا عصر حاضر» (١٣٨٠ش) مرضيه آباد، تطرقت الكاتبة إلى دراسة أشعار الحسبيات من بداية نظمها حتى عصرنا الحاضر مع ذكر شواهد شعرية من هذه الأشعار موجزاً. «الشعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر» للأديب والباحث سالم المعوش (٢٠٠٣م)، لقد اقتص هذا البحث بدراسة أشعار الشعراء المعاصرين في موضوع الحسبيات فحسب مع ذكر شواهد شعرية من هؤلاء الشعراء دون العصور الماضية.

أما الرسائل الجامعية الكثيرة في هذا المجال فمنها «الحسبيات في الشعر العربي» للطالبة سكينه قدور والتي نُوقشت في جامعة منتوري - قسنطينة، كلية الآداب واللغات، الجمهورية الجزائرية، (٢٠٠٧م)، درست الباحثة هذه الظاهرة اعتماداً على أشعار الشعراء المعاصرين مشيرةً إلى هذه الظاهرة في أشعار الشعراء في العصور المختلفة بإيجاز.

وهناك مقالات عديدة كتبت وأغلبها دراسة مقارنة بين الحسبيات في الأدبين العربي

والفارسي ونشير إلى بعضها: «مسعود سعد وأبوفراس وسابقة غزل مستقل» للباحث يحيى طالبان ومنصور نيكنياه، مجلة ادبيات تطبيقي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الشهيد باهنر، رقم ١٢، (١٣٨١ش).

«مقايسه عناصر بلاغى - استعاره - در حسيات خاقانى و ابوفراس» للباحث سيد رضى مصطفوى نيا مهدى جبارى نشرت في مجلة ادبيات تطبيقي جامعة آزاد الإسلامية، جيرفت، رقم ١٠، (١٣٨٦ش) اهتم الباحث في هذه المقالة بدراسة الاستعارة كوجه من وجوه البلاغه عند الشعاعين المرموقين في نظم الحبسيات وهما خاقاتى وأبوفراس.

«روميات أبى فراس الحمدانى وحبسيات مسعود سلمان» للباحث محمدهادى مرادى، وصحبت الله حسنوند، فصلية التراث الأدبى، السنة الأولى، العدد الثانى، (١٣٨٨ش) تطرق الباحثان إلى دراسة أشعار الحبسيات لهذين الشعاعين دراسة مقارنة واهتم بالجانبين الفنى والأدبى لهذه الأشعار.

«وصف زندان واحوال دورنى در زندان سرودههاى فارسى و عربى» لعلى دادمان كوشكى وعيسى داراب پور نشرت في مجله پژوهشنامه ادب غنايى رقم ١٦، (١٣٩٠ش) لقد قام الباحثان بدراسة الأوصاف والمظاهر الظاهرية للسجن وكيفية ظهورها في أشعار الحبسيات في الأدبين الفارسى والعربى دراسة مقارنة .

«حبسيه سرايى در شعر عربى وفارسى (پژوهش تطبيقي: شعر أبوفراس وبهار)» للباحث تورج زبى وند ويان صالحى نشرت في مجلة فصلنامه علمى پژوهشى ادبيات فارسى بجامعة آزاد، رقم ١١ (١٣٩١ش) ولقد درس الباحثان شعر الحبسيات لهذين الشعاعين دراسة مقارنة من حيث الأسلوب والمضمون معاً.

«مكارم الأخلاق فى سجنيات أحمد سحنون (دراسة وتحليل)» لجهانگير أميرى وإلهام كاظمى نشرت في مجلة دراسات في مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد الثالث والعشرون، (١٣٩٥ش) تطرق الباحثان في هذا البحث إلى دراسة نصائح أخلاقية ذات طابع دينى واجتماعى وأخلاقى في أشعار الشاعر الجزائرى أحمد سحنون دراسة دلالية ومضمونية.

وهناك مقالة عنوانها «شعر السجن عند ابن زيدون الأندلسي دراسة وصفية تحليلية» للباحث محمد جاسر أسعد طالب الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، والتي نشرت في مجلة الدراسات اللغوية والأدبية. لقد درس الباحث في المقالة الموضوعات التالية: سبب سجنه، مدة سجنه، شعره في السجن، القصيدة الميمية، لماذا أخفق ابن زيدون في استعطاف أبي حزم بن جمهور. واعتمد في بحثه أيضاً على تحليل القصيدة الميمية ومن النتائج الرئيسية لهذه المقالة هي أن هذه القصيدة ليست جزءاً من الرسالة الجديدة؛ بل نظمها الشاعر بعد ما فر من السجن.

وهناك اختلاف جذري بين هذا البحث والمقالة المشار إليها؛ لأن هذا البحث ارتكز على تحليل موضوعات ومضامين الحسبيات لهذا الشاعر من وجهة نظر التقليد أو الإبداع؛ بينما اعتمدت تلك المقالة على القصيدة الميمية وتحليل موضوع الحسبيات لابن زيدون موجزاً. لذلك استفاد الباحث من كل هذه البحوث ولكن رغم كل هذه الجهود والمساعي لم تدرس موضوع هذه المقالة بعد ولم يقم باحث بعد بدراسة أشعار الحسبيات لابن زيدون بشكل مستقل وخاص للكشف عن إبداعات الشاعر بالنسبة إلى الآخرين من حيث الموضوع ووجوه الإبداع والتقليد في هذه الأشعار كما تطرق إليه هذا البحث.

ابن زيدون حياته وأدبه^١

هو أحمد بن عبدالله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي، ولد بالرصافة من

١. حول حياة ابن زيدون وأدبه راجع: ابن بسام، علي، (١٩٨١م). الذخيرة. ج ٣٧٩/١؛ فروخ، عمر، (٢٠٠٦م). تاريخ الأدب العربي. ج ٥٨٩/٤ الى ٥٩٤؛ ضيف، شوقي، (لاتا). الفن ومذاهبه في الشعر العربي. ص ٤٣٩ الى ٤٤٣؛ الركابي، جودت، (٢٠٠٨م). في الأدب الأندلسي. ص ١٦١ الى ٢٨١؛ أحمد غراب، سعيد، (٢٠١١م). أطراف من تاريخ الإبداع العربي ونصوصه في الأندلس. ص ١٢٥ الى ١٦٤؛ عبدالرزاق سليمان، سالم، (٢٠١١م). ترسل الشعراء في الأندلس. ص ٦٨ الى ١٠٦؛ ابن زيدون، (٢٠٠٤م). ديوان. شرح وتعليق يوسف فرحات. مقدمة الشارح. ص ٧ الى ١٧؛ ابن زيدون، (لاتا). ديوانه ورسائله. شرح وتحقيق علي عبدالعظيم. مقدمة الشارح. ص ١١ الى ١١٣؛ أمين مقدسي، ابوالحسن وعبدالوحيد نویدی، (١٣٩٢ش). ترجمه، شرح وتحقيق جلد پنجم المجانی الحديثة. ص ١٧٥ الى ١٧٧؛ توکلی محمدی، محمود رضا وبتول ملکی، (١٣٩١ش). مقتطفات من الأدب الأندلسي الشعرو النشر. صص ٨٠ و ٨١.

أرباض قرطبة أوائل سنة ٣٩٤ للهجرة، ونشأ في أسرة كريمة مرموقة المكانة، فقد أباه في الحادية عشرة من عمره فكفله جدّه لأمه. كانت له ثقافة واسعة عميقة نتيجة لتلمّذه على أساتذة عديدين وعلى رأسهم أبيه الذي كان أستاذه الأول. اتصل بكثير من عظماء عصره وأعلامه ونرى تأثير ذلك جلياً وواضحاً في آثاره الشعرية وفنونه النثرية. كان له دور بارز في الأحداث السياسية في عصره منها في إلغاء الخلافة الأموية بقرطبة وتأسيس حكومة جمهورية بزعامة ابن جهور؛ لذلك أكرم الحاكم الشاعر ورفعته إلى منصب الوزارة وجعله سفيراً لدى بعض ملوك الطوائف. وأعظم الأحداث أثراً في حياة ابن زيدون وفي أدبه كان اتصاله بولادة بنت المستكفي الخليفة الأموي المخلوع وأحبها كثيراً، ولكن لم يدم هذا الحب حتى حصلت جفوة بينه وبين ولادة، وكان لخصومه دور بارز في هذه الجفوة والفراق وفي النهاية أودع السجن بدليل اختلف فيه الباحثون والمؤرخون وكان على رأسها عامل سياسي لأن ابن زيدون كان شاعراً «سياسياً الطموح وهذا ما ستجלוه لنا علاقاته مع الجمهوريين وما ناله من السجن.» (الركابي، ٢٠٠٨م: ١٦٦) أتهم الشاعر للعودة بزمام الأمور إلى بني أمية وتتهم أخرى فأودع السجن مدة تزيد قليلاً عن خمسمائة يوم كما أشار الشاعر نفسه في القصيدة التي أرسلها من السجن إلى ابن جهور ويستعطف ابن جهور ويناشده العفو دون فائدة:

أفصبرُ مئينَ خمساً من الأيامِ ناهيك من عذابِ اليمِ

(ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ٢٨١)

لابن زيدون مدائح كثيرة وكان مقلداً في مدائحه شعراء المشرق ويجذو حذوهم كما له غزليات صادقة لولادة وقصائده التي نظمها مدة سجنه وهي متصفة بالشكوى والاستعطاف وله أيضاً رسالة مشهورة بالرسالة الجدية كتبها في السجن تدور حول حياته السياسية وما رافقها من سجن واستعطاف. ولُقّب ببحترى الغرب بسبب الموسيقى الخلابية والنغمات الموزونة لأشعاره.

الأغراض والموضوعات في حبسيات ابن زيدون

إن الوحدة والعزلة والوحشة التي عاشها الشاعر في السجن وفّرت له الفرصة حتى

يفكر في الأمور التي تؤلمه في هذه الوحشة فهناك وحشة نفسية ووحشة جسدية ساعدته أيضاً في التعبير عن واقعه في السجن من خلال قصائد رائعة؛ لذلك تشتمل حسبيات ابن زيدون كغيره من الشعراء الذين ذاقوا طعم السجن المرّ، الموضوعات والأغراض التي كانت تهمه وتبين آمانيته وآماله. ومن أهم هذه الموضوعات والأغراض هي:

١. عتاب الأمير في السجن

لقد عاش الشاعر مدة من حياته في بلاط الأمير ابن جهور وعاش حياة سعيدة ومدح هذا الأمير «وله مدائح كثيرة في أبي الحزم بن جهور». (ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ١٦) وكان من خواصه وسفيره لدى بعض ملوك الطوائف ولكن أُتهم بالتدبير لقلب نظام الحكم ونزل السجن بأمر هذا الملك وذاق طعم السجن بسبب سعاية العدو؛ لذلك عتاب هذا الأمير يعد من الموضوعات الهامة في حسبياته. يخاطب الشاعر هذا الأمير بينما يستعطفه ويناشده العفو ولكن بدون جدوى. إضافة إلى ذلك كتب الشاعر أثناء سجنه رسالة شهيرة تُعرف بالرسالة الجدئية وأرسلها إلى ابن جهور ويستعطفه فيها، وأرسل معها قصيدة يمدحه مطلعها:

الهوى في طُلوَع النجوم؛ والمنى في هُبوبِ ذاك النسيم
سَرْنَا عَيْشُنَا الرَّقِيقُ الحَواشِي، لو يَدُومُ السَّرورُ للمُسْتَدِيمِ
وَطَرُّ ما انقَضَى إلى أن تَقضى زمنٌ، ما ذمَّاهُ بالذَمِيمِ

(ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ٢٨٠)

مزج الشاعر هذه القصيدة بوصف الطبيعة كما يبدو من مطلعها وكان هذا من ميزات حسبياته؛ بل جميع أغراضه الشعرية كما يرى الباحث أحمد غراب بقوله: «مزج الطبيعة بقوله وقرنها بلون فني آخر من ألوان المتعة الحسية في نطاق غزله». (أحمد غراب، ٢٠١١م: ٧٠) بعد ذلك يمدح الأمير بقوله:

بِوَأِ اللَّهِ جَهوراً شَرفِ السَّوَدِ، في السَّرورِ، وَاللُّبابِ الصَّمِيمِ
واحدٌ، سَلَّمَ الجَميعُ له الأَمْرَ، فَكانَ الحُصُوصُ وَفَقَ العُمُومِ

(ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ٢٨١)

ثم بيدي شكواه عنه ويعتبر شكواه تنبيهاً للحليم كي يستدرك ما فاتته، ويرسم نفسه كالسيف الذي بقي في الغمد وليس له القدرة على القطع وشم يتذكر الأمير مدةً قضاه في السجن ويستعطفه واصفاً عذابه في السجن ويصور نفسه مريضاً لا زائر له حتى يساعد على شفائه:

أيتها ذا الوزير! ها أنا أشكو،	والعصا بدءُ قرعها للحليم
وبقاء الحسام في الجفن يثنى	منه، بعد المضاء والتصميم
أفصبرُ مئينَ خمساً من الأيام	نأهيك من عذاب الأليم
سقمٌ لا أعادُ فيه وفي العائد	أنسٌ يُقى ببراء السقيم

(نفس المصدر)

يستمر الشاعر في عتابه حتى يستعطف الأمير ويطلب الخلاص من السجن في نهاية القصيدة.

نظم قصيدة أخرى في أوائل سجنه و«بعاتب فيه أبا الحزم بن جهور ويدفع عن نفسه التهمة متضرعاً في إباء، مستعظفاً في حرقة» (الركابي، ٢٠٠٨م: ٢٢٦) يبدأ الشاعر قصيدته هذه بذكر حالاته النفسية ثم يشكو من الدهر يتضمنها بذكر محاسنه ومفاخره ثم يستعين بالأمير أبي جهور ويتمنى أن يرحمه هذا الأمير الفاضل الذي هو قادر على مساعدته لذلك يستمد منه العون، مخاطباً إياه:

لعلَّ المليك المجلُّ الصنع قادراً	له بعد يأسٍ، سوف يُجملُ صنعا لي
ولله فينا علمٌ غيبٌ وحسبنا	به، عند جور الدهر، من حكم عدل
همامٌ عريقٌ في الكرام، وقلما	ترى الفرع إلا مُستمداً من الأصل
نهوضٌ بأعباءِ المرؤة والتقى	سحوبٌ لأذيالِ السيادة والفضل

(ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ٢٤٠)

هو كذلك لا ينسى مدح الأمير؛ بل يمدحه خلال القصيدة بأبيات استخدم فيها صوراً بيانية في طلب ما يريد، وقد وصف عدله أمام جور الدهر كما وصفه بالهمام العريق في الجود والكرم وصاحب المرؤة والتقى والفضل والسيادة وذو آراء واضحة. عتاب الأمير أيضاً يتجلى في هذه القصيدة بحيث يتذكر الشاعر رسائله العديدة

والتواترة التي يرسلها إلى الأمير في السجن ولكن الأمير لا يهتم برسائلة، كما يتذكر بأنه أعد نفسه لوصول هدية من الأمير إليه ويأمل أن يوسمه نعمه لأنه ليس برجل مجهول:

أبا الحزم! إني، في عتابك، مائلٌ
على جانبٍ، تأوى إليه العلى سهلٍ
أفي العدل أن وافتك تترى رسائلي
فلم تتركن وضعاً لها في يدى عدلٍ
أعدك للجللى، وآمل أن أرى،
بُعماك، موسوماً، وما أنا بالغفلِ

(نفس المصدر: ٢٤١)

يسعى الشاعر في هذه القصيدة براءة نفسه عما أُتهم به كما يسأل الشفاعة من الأمير الموصوف بالعدل والجود والكرم، ويشير إلى ادعاء الوشاة الباطل ويجعله سبباً لتقصير الأمير في مساعدته مستمداً أسلوب الاستفهام الإنكارى حتى يرفض ادعاء الوشاة الباطل ضمن جملة استفهامية ثم يدعى لو أنه ارتكب الخطيئة عمداً لما كان غريباً على حسن طباع الأمير أن تمهله:

أن زعم الواشون ما ليس مزعماً
تُعذر في نصرى وتُعذر في خذلى
ولو أننى واقعتُ عمداً خطيئةً،
لما كان بدعاً من سجاياك أن تملى

(نفس المصدر: ٢٤٢)

يستعطف الشاعر في الأبيات الآتية من الأمير معترفاً بأن خلاصه من السجن أصبح أمنية له ويرى إذا تحققت هذه الأمنية بيد من يسأل الشاعر منه رضاه يتيسر له حل كل صعب فيها:

منى، لو تَسنى عقدها بيد الرضا
تيسر منها كل مستصعب الحلّ

(نفس المصدر: ٢٤٣)

كما يسعى إلى وصف الأمير الذى كان قبل ذلك من ممدوحيه ويخاطبه ويتذكر خصاله الحسنة وأخلاقه السمحة ويعتبر تحقق أمنيته بيد هذا الأمير:

فإن تُمن لى منك الأمانى، فشيمةٌ
لذاك الفعالِ القصدِ والخلقِ الرسلِ

(نفس المصدر)

وكذلك لا ينسى الشاعر وصف منزلته العالية ومكانته المرموقة وقيمته العالية والتي جعلها الأمير رخيصاً، بينما يجده غير الأمير ثميناً غالباً ثم تأخذه الحيرة والتعجب؛

ويظهر تعجبه وحيرته حينما يخاطب الأمير سائلاً إياه أين الجواب الذى يرضى الكرامة والرفعة، إذا ما سألتني عنه السنة الناس؟:

سَيُعْنَى بِمَا ضَيَّعَتْ مَنْى حَافِظٌ وَيُفْلَى لِمَا أَرَحَصَتْ مِنْ خَطْرِى مُغْلَى
أَيْنَ جَوَابٍ عَنْكَ تَرْضَى بِهِ الْعُلَى إِذَا سَأَلْتَنِي بَعْدُ السَّنَةَ الْحَفْلَى

إن الشعراء يعاتبون في حبسياتهم عادةً من حكم لهم بالسجن وهذا النوع من العتاب يكون من الموضوعات السائدة عند الشعراء الآخرين الذين نزلوا السجن وكان موجوداً عندهم^١ وليس شيئاً جديداً أضافه ابن زيدون؛ ولكن المهم والشىء الجديد عند هذا الشاعر هو مزج هذا العتاب بالمدح، كما تؤيده الأمثلة السابقة؛ لأن ابن جهور هو الذى يقوم الشاعر بعبابه في السجن والذى كان يمدحه في نفس الوقت وحتى في القصيدة الواحدة.

تدل أبيات هذه القصيدة وغيرها بأن تعدد الأغراض موجودة في القصيدة الواحدة إضافة إلى ذلك أن بعض أبيات قصائده التي نظمها الشاعر في السجن لها أسلوب خاص زاد في جمالها وإناقته مثل هذا البيت الذى يخاطب الشاعر ابن جهور يستعطفه ويسأله العفو عن خطيئته، بينما لا يستخدم في البيت إلا أفعال الأمر، وفعل الأمر كما نعلم «قد يخرج عن معناه الحقيقى وهو طلب الفعل من الأعلى للأدنى على وجه الوجوب والإلزام، وللدلالة على معان أخرى يحتملها لفظ الأمر وتستفاد من السياق وقرائن الأحوال.» (عتيق، لاتا: ٧٣) في هذا البيت يكون الخطاب من السجين والعبد إلى المولى والأمير والأفعال الأمر هنا يفيد معنى الدعاء:

أَجْرَأَعِدْ أَمِنْ أَحْسَنِ أَبْدَأْ عُدْ أَكْفِ حُطِّ تَتَفَّ ابْطِ اسْتَأْلَفِ صُنْ أَحْمِ اصْطَنِعْ أَعْلَى

(ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ٢٤٣)

وفي القصيدة الأخرى التى كتبها الشاعر من السجن وأرسلها إلى أبى حزم أيضاً يقوم بعتاب الأمير بعد مقدمة غزلية وبيان حالاته النفسية ويظهر إعجابه من طريقة عمل الأمير وفعله ويقول ماذا حدث لمعيني وسندى بحيث يُجملنى أعباء الذنوب التى

١. كما نجد ذلك عند أبى فراس عندما يعاتب سيف الدولة لتأخيره بافتدائه في قصيدة مستقلة اسمها «أبى الدمع إلا تسرعاً.» (الحمدانى، لاتا: ١٨٣ - ١٨٥)

اقترفها وارتكبها غيرى بقوله:

ما للذنوبِ التي جَانِي كَبَائِرِهَا غَيْرِي، يُحْمَلُنِي أَوْزَارَهَا وَزَرِي

(نفس المصدر: ١٠٨)

ومما يلفت النظر في هذه القصيدة أن الشاعر مزج مدح الأمير بعتابه بحيث أعطى القصيدة لوعة وحلاوة، حتى يشتهبه الأمر على المتلقى وهو لا يدري هل أراد الشاعر عتاب الأمير أو مدحه وبعبارة أدق هل الشاعر نظم هذه القصيدة في السجن أم في بلاط الأمير؟ كما يبدو من الأبيات التالية التي يتحدث فيها الشاعر عن ثقة نفسه من رفق الأمير وعدم حذره من تجنبه حيناً وحيناً آخر يمدح الأمير بأخلاقه السهلة عندما هيج غضبه، وانقياده السهلة وحلو معشره كما يصف جمال ظاهره أمام عين الناظر الخبير والشرف التليد وعزة نفسه مع أهله ورهطه:

مَنْ لَمْ أزل، مِنْ تَأْنِيهِ، عَلَى ثِقَةٍ؛ وَلَمْ أَبْتَ، مِنْ تَجَبُّهِ، عَلَى حَذِرِ
ذو الشيمة الرّسل إن هيجت حفيظته، والجانب السهل والمستعتب اليسر
مَنْ فِيهِ لِلْمُجْتَلَى والمُبْتَلَى، نَسَقًا، جَمَالُ مَرَأَى، عَلَيْهِ سِرٌّ مُحْتَبَرِ
مُذَلِّلٌ لِلْمَسَاعَى حُكْمُهَا شَطَطًا عَلَيْهِ، وَهُوَ الْعَزِيْزُ النَّفْسِ والنَّفَرِ

(نفس المصدر)

٢. وصف حالاته النفسية في السجن من القلق والآلام

إن وصف الحالات النفسية من الصبر والتجلد ووصف الغربة والهم والحزن وتذكر الأيام الماضية الحلوة والسعيدة وغير ذلك، كانت من الموضوعات الشائعة في حسبيات الشعراء العرب؛ كما نجد ذلك عند أبي فراس الحمداني عندما وصف حزنه وهمّه في السجن بقوله:

فَحُزْنِي لَا يَنْقُضِي ودمعى ما يَفْتُرُ
وَمَا هَذِهِ أَدْمَعِي وَلَا ذَا الَّذِي أَضْمِرُ
وَلَكِنْ أَدْرَأِي الدَّمْعَ وَأَسْتُرُّ مَا أَسْتُرُّ
مُخَافَةَ قَوْلِ الوُشَا ة: مِثْلُكَ لَا يَصِرُّ

(الحمداني، لاتا: ١٥٣-١٥٤)

أو كما وصف ضعف جسده في أبيات أخرى ويشبهه جسمه الضعيف والعليل بالرمح
المحطّم والسيف الهندي والمفلل بقوله:

قد حُطّم الخطيُّ واختَرَمَ العدى وفُلل حُدّ المشرفي المهنّد

(المصدر نفسه: ٨٣)

أو عندما وصف أبو العتاهية صبره وتجلده:

صبرتُ ولا والله ما لى جلادة على العبر، لكن صبرتُ على رغمي

(أبو العتاهية، ١٩٦٤: ٣٤٠)

أو إظهار البراءة عند المتنبي عندما يبرء نفسه ويرى أن عداوة الأعداء هو سبب
نزوله في السجن:

فلا تسمعنّ من الكاشحين ولا تعبانّ بمحك اليهود

(المتنبي، ١٩٩٨م: ج ٦٨/٢)

يُعدُّ وصف الحالات النفسية أيضاً من أغراض الحبسيات عند ابن زيدون، كما إهتم
بها الشعراء قبله ولم نجد أى شىء جديد عنده في هذا المجال. إذا يهتم الشاعر بالتعبير
عن ألمه وقلقه وعذابه في السجن في القصيدة التي كتبها إلى أبي الحزم بن جهور في
السجن بعد مقدمة غرلية، وفي هذه القصيدة كما يقول جودت الركابي: «يشيد الشاعر
بشعره ويحاول أن يتأسى بصروف الأيام.» (الركابي، ٢٠٠٨م: ٢٢٩)

مَنْ يسألُ الناسَ عن حالى فشاهاها محضُ العيانِ الذى يُغنى عن الخبرِ
لم تطوِ بُردَ شبابى كبرةً وأرى برقَ المشيبِ اعتملى فى عارضِ الشَّعرِ
قبلَ الثلاثينَ، إذ عهدُ الصِّبا كَثَبُ، وللشَّيبَةِ غُصْنٌ غيرُ مُهْتَصِرِ
ها أنا لوعةٌ، فى الصِّدرِ، قاذحةٌ نارَ الأسى، ومشيبي طائرُ الشَّرْرِ

(ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ١٠٧)

كما يبدو من الأبيات التي يصف الشاعر فيها حالاته النفسية في السجن ويرينا بأنه
يعيش في حالة سيئة وحياة سوء بحيث رؤية حاله في السجن يغنى الناس عن السؤال
عن أحواله وهم بعد ذلك لا يحتاجون إلى السؤال. ملاً الحزن قلب الشاعر السجين
عندما رأى البياض ظاهراً فوق شعر خده وقبل وصوله إلى سن الشيخوخة وبرز

الشيبة عنده قبل بلوغه ثلاثين من عمره.

يبدأ الشاعر قصيدته الأخرى التي أرسلها إلى أبي حزم بن جهور في أوائل سجنه أيضاً بذكر حالاته النفسية من قلق وعذاب، ويستخدم أسلوب الإستفهام الإنكاري في بيان شدة حزنه وألمه متعرضاً إلى منصبه ووجاهته الماضية ويرى حان الوقت ليكي الغمام على شخص مثله ويطلب نصل البرق بثأره، كما ينبغي أن يقيم الليل مآتماً ليندب في الآفاق منصبه ووجاهته:

ألم يَأْنِ أَنْ يَبْكِيَ الغمامُ على مثلي وَيَطْلُبُ ثَأْرِي البرقُ مُنْصَلَتَ النّصلِ
وهلا أقامت أنجُمُ الليلِ مآتماً لتندُبُ في الآفاقِ ما ضاع من نَتلي

(المصدر نفسه: ٢٣٩)

٣. الشكوى من الدهر

ومن الأغراض الموجودة عند الشعراء القدامى في حسياتهم هي الشكوى من الدهر من وجهة نظرهم، أما بالنسبة إلى شاعرنا ابن زيدون فيكاد الشاعر يشكو من الدهر في جميع القصائد التي كتبها في السجن منها القصيدة التي يشكو ويعاتب فيه أبا الحزم بن جهور ويقول فيه إن تكن الليالي قد طال رَمِيها إياي بالمصائب فلقد أصابت بناها موضع النبل مني وتحلّت الليالي بآدائي، بينما مآربي مهيأة لبلوغ أمنية جديدة ويخصني الدهر بالهجر والحفاء دون غيري، وكأن الزمان يبيت ثأراً من ذوى الفهم:

لَعْمُرُ اللَّيَالِي! إِنْ يَكُنْ طَالَ نَزْعُهَا لَقَدْ قَرَطَسَتْ بِالنَّبْلِ فِي مَوْضِعِ النَّبْلِ
تَحَلَّتْ بآدَائِي، وَإِنَّ مآرِبِي لَسَانِحَةٌ فِي عَرْضِ أَمْنِيَةِ عَطْلِ
أَخَصُّ لِفَهْمِي بِالْقَلْبِي، وَكَأَمَّا يَبِيْتُ، لَذِي الْفَهْمِ، الزَّمانُ على دَحْلِ

(نفس المصدر: ٢٣٩)

يشكو الشاعر من الدهر أيضاً بمصائبه العظيمة في القصيدة التي أرسلها إلى ابن

جهور من السجن بعد مقدمة طويلة في وصف الطبيعة ويقول:

أبها المؤذني بظلم الليالي، ليس يوماً بواحدٍ من ظُلومِ
قَمَرِ الأفقِ، إن تأملتِ، والشمسُ هما يُكسِفانِ دُونَ النجومِ

وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْحُو بِالْمُصَابِ العَظِيمِ نَحْوَ العَظِيمِ

(نفس المصدر: ٢٨٠)

يمزج الشاعر هنا شكواه من الدهر بتبيين مكانته العاليه بين الناس ويعتبر نفسه كالشمس والقمر بين الناس الذين يعتبرهم ساير النجوم ويقول يا من يسمح بظلم الليالي، لم يكن لي يوم واحد يتصف بالظلم، إن تأملت تجد أن القمر والشمس يُكسِفان، ولا تُكسِف سائر النجوم. والدهر لا ينفك يميل بالمصيبة العظيمة نحو العظيم من الناس.

٤. السجن وذكر الولادة

كان ابن زيدون من شعراء الطبقة الأولى بين الأندلسيين وكانت شهرته في الغزل أكثر من الأغراض الأخرى وكما ذكرت قبل ذلك كان مقلداً للمشاركة وأعجب بهم في أغلب أغراضه الشعرية ولكن هذا «لا يعنى التقليد التام ولا يعنى أنه ضيغ شخصيته، فله الكثير من المعانى الجديدة التى تجعله في طليعة الأندلسيين ومن كبار شعراء العربية.» (ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ١٧) لقد مزج الشاعر بعض قصائده التى نظمها في السجن بذكر الطبيعة ومشاهدها الجميلة ربما يعد هذا من جملة هذه المعانى الجديدة أو من إبداع الشاعر، إضافة إلى ذلك مزج إحدى تلك القصائد بذكر الولادة والتغزل بها وهذا الأسلوب كان موجوداً عند أبي فراس الحمداني؛ إذ نجد صلة وثيقة بين حبسياته والغزل ولكن بنوع خاص؛ «لأن أبي فراس الحمداني بدأ كثيراً من حبسياته الشهيرة بالروميات بنوع من الغزل الرمزي ويدور غزله هذا حول سيف الدولة الحمداني.» (زيني وند، صالحى، ١٣٩١ش: ٤٥)، بينما يدور الغزل عند ابن زيدون حول حبيته ولادة من هذا المنطلق يتحدث الشاعر في هذه القصيدة عن أرقه وسهاده وهجر حبيته في الأبيات العديدة منها:

ما جالَ بعدك لحظى في سنا القَمَرِ، إلا ذكُرْتُكَ ذِكْرَ العَيْنِ بِالْأَثْرِ
ولا استطلتُ ذَماءَ الليلِ من أَسْفٍ إلا على ليلةٍ سرّت مع القِصْرِ
ناهيك من سَهَرٍ بَرِحَ، تَأَلَّفُهُ شوقٌ إلى ما انتَقَضَى من ذلك السَمْرِ

١. للمزيد من الاطلاع راجع: الحمداني، لاتا. ديوان. ٢٠٥، قصيدة عنوانها: «ياويح خالك».

فَلَيْتَ ذَاكَ السَّوَادَ الْجُونَ مُتَّصِلٌ لَوْ اسْتَعَارَ سَوَادَ الْقَلْبِ وَ الْبَصْرِ
(نفس المصدر: ١٠٦)

يتذكر الشاعر في هذه الأبيات، الأيام الخالية والليالي الماضية التي قضت مع حبيبته ويتحدث عن شوقه إلى تلك الأيام والليالي كما يتذكر سهره ولقاءه الليلي الذي يلتقى فيه بحبيبته ويتشوق الآن وهو في السجن إلى ذلك اللقاء الليلي ولذلك عندما يتأمل الشاعر العاشق ضوء القمر بعدها يتذكرها كما تتذكر العين الأشياء بعد أن تسمى أطلالها، ولا يجد القليل الباقي من الليل طويلاً إلا لتشوقه إلى ليلة تفرحه مع قصرها وأخيراً يتمنى أن ذاك السواد الخالص استعار سواد القلب والبصر حتى يبقى مستمراً. لم يكتب الشاعر بهذا؛ بل يصف في الأبيات الأخرى جمال الحبيب ويعترف بأنه فهم معنى الحب مما أوحته له نظراتها حتى يفهم الجوار من الحور، ويرى أن جمالها متنوع لم تصل أعيننا إلى غاياته منه، رغم تنوع النظر:

فَهَمْتُ مَعْنَى الْهُوَى مِنْ وَحَى طَرْفِكَ لِي؛ إِنَّ الْجِوَارَ لِمَفْهُومٍ مِنَ الْحَوْرِ
حُسْنٌ أَفَانِينَ، لَمْ تَسْتَوْفِ أَعْيُنُنَا غَايَاتِهِ بِأَفَانِينَ مِنَ النَّظْرِ
(نفس المصدر: ١٠٦-١٠٧)

٥. استعطافه وطلبه الخلاص من السجن

عندما نتصفح أشعار الحسيات في دواوين الشعراء الذين نزلوا السجن نجد أنهم يعدون أنفسهم أبرياء من الذنب ويسعون للخلاص من السجن وكثيراً ما يستطعمون سُجانهم حتى يرضى عنهم ويخلصهم من السجن أو يأتوا بفدية لإطلاق سراحهم، كما نجد ذلك عند أبي فراس الحمداني^١ أو الاعتذار عند المتنبي^٢. أو إظهار البراءة

١. إلى كم ذا العقابُ وليس جُرمٌ وكم ذا الإعتذارُ وليس ذنبٌ
فلاتحملِ على قلبٍ جريحٍ به لحواثِ الأيامِ نَدْبُ
(الحمداني، لاتا: ٣١).

٢. دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا ءِ وَالْمَوْتُ مَنَى كَحَبِيلِ الْوَرِيدِ
دَعَوْتُكَ لَمَّا بَرَانِي الْبَلَاءُ وَأَوْهَنَ رِجْلِي تَقْلُ الْحَدِيدِ
(المتنبي، ١٩٩٨م: ج ٢/٦٧)

عنده^١ عندما يبرء نفسه ويرى أن عداوة الأعداء هو سبب نزوله في السجن، من هذا المنطلق كان الإستعطاف وطلب الخلاص من السجن، الغرض الرئيس في جميع الأشعار التي نظمها ابن زيدون في السجن؛ لذلك يخاطب الشاعر في هذه الأشعار ساجنه أبا حزم بن جهور بينما يحاول المحافظة على عزة نفسه وكبريائه في بداية سجنه وهذا يعود إلى مكانته العالية عند هذا الأمير في الماضي ومنصبه الرفيع الأول عنده باعتباره وزيراً لبلالطه، وإظهار عجزه وبأسه من عفو الإمبر وصفحته وأخيراً عتابه عندما لم يستجب ساجنه أبو الحزم إستعطافه.

إن الأبيات التي يطلب الشاعر فيها الخلاص من السجن ويستعطف الأمير، تأتي عادة بعد الأبيات التي يمدح فيها أمير أبي جهور أو صديقه كما ورد في الأبيات التالية:

هل من سبيل، فمأء العتب لي أسن،	إلى العذوبة من عتباك والخصر
نذرتُ شكرك، لأنسى الوفاء به،	إن أسفرت لي عنها أوجه البشر
لاتله عني، فلم أسألك، مُعتسفاً،	ردّ الصبا، بعد إيفاء على الكبر
واستوفر الحظ من نصح وصاغية	كلاهما العلق لم يوهب ولم يعر

(نفس المصدر: ١١٠)

نظم الشاعر هذه الأبيات بعد أبيات طويلة والتي مدح فيها ابن جهور، بعد ذلك يشير إلى لوم الواشين ويستعطف الأمير ويلفت نظره الى نفسه، ويستمد من الصور البيانية في تصوير ما يريد ليسهل له الوصول إليه، لم يجد أقرب إلى نفسه إلا الطبيعة الخلابة حوله هذا الوجه أيضاً إختص به ابن زيدون دون غيره، لذلك يتغير ماء اللوم ويتعكر عند الشاعر، ولا يجد سبيلاً إلى العذوبة والبرودة إلا رضا الأمير، كما يشير إلى وفائه إلى هذا الأمير والشكر له، بقوله: إن أسفرت لي عن رضاك أوجه بشائرها فإنني لا أنسى الشكر الذي نذرته وسأبقى وفياً لك. إن الذي يسأل الشاعر عن الأمير خلاصه من السجن وهذا أمر يستطيع الأمير فعله، وليس سؤاله عن شيء مستحيل كرده إليه شبابه بعد كبره لذلك يقول: لاتله عني فلم أسألك مستحيلاً، لم أسألك أن ترد لي شبابي بعد مشيبي كما يطلب عن الأمير أن يستكثر حظه من نصائحه وتوجيهاته إليه

١. فلا تسمعن من الكاشحين ولا تعبان بحك اليهود

(المصدر نفسه: ج ٢/٦٨)

لأنها نفيسة وثمينة لاتعار ولا توهب.

وفي الأبيات الأخيرة من هذه القصيدة يسعى الشاعر أن يُبرء نفسه وصرّح أنه إن ارتكب الذنب وجعل الثمين بخساً والحسنة سيئة بسبب جهله للأمور، ولا عذر له في ذلك سوى أنه من البشر، ثم أدلى بأن السيادة تبدو لابسةً ثياب البهاء بالإغضاء وكف النظر عن السيئات، وسحر الجمال هو في الإغضاء. وفي النهاية يسأل عن الأمير الشفاعة ويعتقد أنه لأتمال أعتت الشفاعة في غير إتجاه قبول العذر، كما يسأل عنه أن يلبس من النعمة الخضراء أغصانها حتى تبقى ظلماً محرماً على المصائب والأحداث ويدعوه أن يعيش في جنة الدنيا نعيماً وإن هي زالت وينعم بالخلود في جنان الآخرة وأنهارها الجارية:

هَبْنِي جَهَلْتُ فَكَانَ الْعِلْقُ سَيِّئَةً؛	لَا عُدْرَ مِنْهَا سِوَى أُنَى مِنَ الْبَشْرِ
إِنَّ السِّيَادَةَ، بِالْإِغْضَاءِ، لَابِسَةٌ	بِهَاءِهَا، وَبِهَاءِ الْحُسْنِ فِي الْخَفْرِ
لَكَ الشَّفَاعَةُ، لِاتُّنَى أَعْتَتْهَا	دُونَ الْقَبُولِ، بِمَقْبُولِ مِنَ الْعُدْرِ
وَالْبَسَ مِنَ النِّعْمَةِ الْخَضْرَاءِ أَيْكَنْهَا،	ظُلماً حَرَاماً عَلَى الْآفَاتِ وَالغَيْرِ
نَعِيمَ جَنَّةِ دُنْيَا، إِنْ هِيَ انصَرَمَتْ	نَعِمَتْ بِالْخُلْدِ فِي الْجَنَاتِ وَالنَّهْرِ

(نفس المصدر: ١١٠-١١١)

٦. السجن و الفخر

إن التفاخر بالماضي المجيد والمكانة العالية السابقة أو الفخر بالقوم والحسب والنسب كان من الموضوعات التي تطرّق إليها الشعراء في حسياتهم منذ القديم؛ كما نجد عند المتنبي عندما يفتخر بماضيه وشرفه وفضله السابق^١ وأبي فراس الحمداني حينما يفتخر بشجاعته أو وجاهته الماضيه عند سيف الدولة وعزة نفسه^٢. فقد أكثر ابن زيدون

١. وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مَحْفَلٍ فَهَذَا أَنَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ قُرُودِ
- (المتنبي، ١٩٩٨م: ج ٢/٦٧)
٢. مَتَى تُخَلِّفُ الْأَيَّامُ مِثْلِي لَكُمْ فِتْنَى طَوِيلَ نِجَادِ السَّيْفِ رَحَبَ الْمُقَلَّدِ
- (الحمداني، لاتا: ٨٤)
- وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا تَوَسُّطَ عِنْدَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ
- تَهَوُّنٌ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نَفُوسُنَا وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلِبْهَا الْمَهْرُ
- (الحمداني، لاتا: ١٦١)

من الفخر بنفسه والإعتداد بها في حبسياته كأسلافه من الشعراء وقد يظهر هذا الغرض بالتفاخر بقومه وأمجادهم وربما يفتخر بمكانته الماضيه عند ابن جهور ومحاسنه، ولا نجد شيئاً جديداً عنده في هذا المضمار ولا إبداع إلا استحضر عناصر الطبيعة في تبين غرضه كما تدلنا الأبيات الآتية.

ربما يذكر ابن زيدون محاسنه ومفاخره وحسن آدابه في مواجهة أعدائه ومبغضيه

الذين أدوا سعائتهم وعداوتهم إلى وقوعه في السجن:

تَحَلَّتْ بَادَابِي، وَإِنَّ مَارِي	لسانحة في عرض أمنيّة عطل
أَخْصُ لِفَهْمِي بِالْقَلِي، وَكَأَمَّا	يَبِيْتُ، لَذِي الْفَهْمِ، الزمانُ على دحل
وَأَجْفِي، عَلَى نَظْمِي لِكُلِّ قِلَادَةٍ،	مُفَصَّلَةَ السَّمَطَيْنِ، بِالْمَنْطِقِ الْفَصْلِ
وَلَوْ أَنَّي أَسْطِيعُ، كَى أَرْضَى الْعِدَى،	شَرِيْتُ بَبَعْضِ الْحِلْمِ حَطًّا مِنَ الْجَهْلِ

(نفس المصدر: ٢٣٩-٢٤٠)

كما يبدو من الأبيات مزج الشاعر ذكر مفاخره بالشكوى من الدهر الذي أقبل إلى الجهال وأعرض عن العقلاء وذوى الفهم وصرح بأن الليالي تحلّت بآدابه، ومآربه وهى مهياة لبلوغ أمنيّة جديدة، ورغم أنه يُخصّص غيره بالجفاء والهجر ولكن الزمان كأنه أراد بالثأر من ذوى الفهم، ولو كان بإستطاعته ليرضى أعداءه عندئذٍ يقوم ببيع ما عنده من الحلم حتى يشتري قليلاً من الجهل.

يفتخر الشاعر أيضاً بمكانته العالية وارتفاع شأنه في قصيدة أخرى والتي بعث بها إلى أبي حزم بن جهور من السجن بعد أن يلوم الشامت المرتاح البال والذي يبدى بسروره وفرحه عندما يرى منزلة الشاعر الضائعة وأمانيه المتعبة، ويستفيد من عناصر الطبيعة لتبيين مكانته العالية لذلك يصورها كالشمس والقمر اللذين يكسفان كما يكسف شأنه إذاً لا يتعجب عن طول وجوده في السجن لأن ذلك لا يحط من شأنه كما لا يفقد السيف القاطع شيئاً من حسناته إن يُودع غمده:

لَا يُهْنِي الشَّامِتَ، الْمُرْتَاخَ خَاطِرُهُ،	أَنْ مَعَتَى الْأَمَانِي، ضَائِعِ الْخَطِرِ
هَلِ الرِّيَاخُ بَنَجْمِ الْأَرْضِ عَاصِفَةٌ؟	أَمْ الْكُسُوفُ لِعَيْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

إن طال في السجن إيداعى فلا عجب! قد يُودَعُ الجفنَ حَدُّ الصارمِ الذكرِ

(نفس المصدر: ١٠٧-١٠٨)

يشير الشاعر في هذه القصيدة مرة أخرى إلى محاسنه ومكانته الأدبية العالية ورجاءه في الوصول إلى الأمير والتمتع منه ولكن الدهر خيب آماله، لأنه ظن أن النجم يقرنه بالوصول اليه ولكن يتعجب الشاعر وتأخذه الدهشة عندما يرى نفسه أصبح منحطاً إلى التراب، بينما له أدب يعده وسيلة وسبباً إن لم يكن نسباً وهو الوداد الصافي الذي لا كدر فيه، ثم يشير إلى تفوق أدبه ويشبه جماله بالثوب الموشى ويقول ربَّ أدب بارز المدح والثناء وحسنه وتفوقه مثل يُتخذى وجمالُ وشى بارز في الأطراف المطرزة:

قد كُنْتُ أَحْسَبِي وَالنَجْمُ فِي قَرْنٍ؛ فَفِيمَ أَصْبَحْتُ مُنْحَطًّا إِلَى الْعَفْرِ؟
أَحِينَ رَفَّ عَلَى الْآفَاقِ مِنْ أَدْبِي، غَرَسْ، لَهُ مِنْ جَنَاهِ يَانِعِ الثَّمَرِ؟
وَسِيلَةٌ سَبِيًّا، إِلَّا تَكُنْ نَسْبًا، فَهُوَ الْوِدَادُ صَفَا مِنْ غَيْرِ مَا كَدَّرِ
وَبَائِنٍ مِنْ ثَنَاءٍ، حَسَنُهُ مَثَلٌ وَشَى الْمَحَاسِنِ مِنْهُ مُعَلِّمَ الطَّرِزِ

(نفس المصدر: ١٠٩)

وفي قصيدة أخرى أيضاً يشير إلى مجد قومه ويفتخر بهم عندما يعاتب صديقه ويذكر

أيامه الماضيه مع صديقه بقوله:

نتعاطى الثُّمُولَ، مُذْهَبَةَ السَّرِّ بِالِ، وَالْجَوُّ فِي مَطَارِفَ غُبرِ
فِي فُتُوٍّ، تَوْشَحُوا بِالْمَعَالِي، وَتَرَدُّوا بِكُلِّ مَجْدٍ وَفخرِ
وُضِّحَ، تَنْجَلِي الْغِيَاهِبُ مِنْهُمُ عَن وُجُوهِ، مِثْلِ الْمَصَابِيحِ، غُرِّ

(نفس المصدر: ١١٦-١١٧)

عندما يتذكر الشاعر الأيام التي قضاها مع صديقه يصف مجالس خمره مع ندمائه ويمزجها بعناصر الطبيعه ومشاهدها مرة أخرى وخلال ذلك يشير إلى مجد قومه ومفاخرهم ومعاليهم. يستمد الشاعر من ألوان الطبيعة في تبين مجالس الخمر ويصف الحمرة ملونةً بلون الذهب في صفائها ونقاؤها بينما الجو رمادي مغبر كأنه لابسُ ثوبٍ بهذا اللون، كما يستخدم الصور البيانية بأجمل شكل ويصور ندماءه فتيناً جعلوا المعالي وشياً وارتدوا ثياب المجد والفخر بينما هم واضحون وأصحاب وجوه مشرقة كالمصابيح

ومعها تنجلي الغياهب.

يفتخر في هذه القصيدة أيضاً بنظمه ونثره في صفحات الأوراق التي تبهر الفكر وهي بدائع مشرقة لا يشك الدهر في أنها قلائد من الدرر، تتوالى على النفوس متواصلة من فتى طبعه غنى بها، أفرط الشاعر في علو مكانته في النثر وبلاغة الكتابة وفصاحته حتى يرى أنه فاق سهل ابن هارون والجاحظ وهما من الشخصيات التراثية، أراد الشاعر باستدعاء هذه الشخصيات التراثية إثبات تفوقه في البلاغة و الفصاحة للقارئ و المتلقى بأسلوب بديع وجميل:

واكسُ منَ القِرطاسِ ديباجَ لفظٍ	يَبْهَرُ الفِكرَ منَ نَظِيمِ ونثِرِ
غُرٌّ، منَ بدائعٍ، لا يَشْكُ الدَّه	رُ في أَتْها قلائدٌ دُرٌّ
تتوالى على النفوسِ، دراكاً،	عن فتىٍّ مُوسِرٍ، من الطَّبِيعِ، مُثِرِ
شدَّ في حَلِبةِ البلاغةِ، حتَّى	بانَ فيها عَن شأوَ سهلٍ وعمروِ

(نفس المصدر: ١١٧-١١٨)

٧. السجن و ذكر الأصدقاء و الأقرباء

يُعد فراق الأهل والأصدقاء وبعدهم، من مصائب الشعراء في السجن و حزنهم فقد انعكس هذا الحزن و المحنة في أشعارهم بشكل ما؛ إذن يشكل تذكّر الأصدقاء و الأقرباء و ذكر معاناة الشاعر في فراقهم من الموضوعات التي اهتم بها الشعراء في حبسياتهم. كما نجد مثلاً عند المتنبي عندما يشبه الفراق بالنار التي أضرمت نيرانها كبد الشاعر^١. وقد أشار ابن زيدون في حبسياته أيضاً إلى الأيام التي قضاها مع أصدقائه و يتذكر تلك الأيام الحلوة و يتحسر عليها، كما يشكو من فراقهم وبعده عنهم، و يميزها بمدحهم؛ كما يميزها بوصف الطبيعة و يعطيها حلاوة وجمالاً كعادته في الأغراض الأخرى، ربما هذا هو الشيء الجديد عند شاعرنا و الذي لم نجد مثله عند أقرانه في حبسياتهم.

لقد كتب الشاعر قصيدة شهيرة فياضة بالحزن و الألم و بعث بها إلى صديقه الوزير

الكاتب أبي حفص بن برد و مطلعها:

١. فَواحِسرَتا ما أَمَرَ الفِراقَ وأغلقَ نيرانَهُ بالكُبودِ

(المتنبي، ١٩٩٨م: ج ٢/٦٤)

ما عَلَى ظَنِّي بَأْسُ يَجْرَحُ الدَّهْرُ وَيَأْسُو
رُبَّمَا أَشْرَفَ بِالْمَرِّ ، عَلَى الآمَالِ، يَأْسُ

(نفس المصدر: ١٣٨)

كما يبدو من المطلع يبدأ الشاعر قصيدته بالشكوى من الدهر الذي يجرح ويداوى نفسه الجرح ويشير إلى يأسه رغم ما عنده من آمال. بعد عدّة أبيات يخاطب صديقه الوزير ويمدحه بفهمه وذكائه تعريضاً بإياس بن معاوية المزني و«هو من قضاة العراق في عصر بنى أميه وكان يضرب به المثل في الذكاء والفهم.» (الركابي، ٢٠٠٨م، هامش: ٢٢٤) وربما يرجع ذلك إلى سبب نزوله في السجن كما يرى بعض الباحثين بأنه نزل في السجن بسبب حكم قاض اسمه ابن مكوى (نفس المصدر: ١٧٦) لعل أراد الشاعر التعريض برأى القاضى ابن مكوى الذى أدى إلى وقوعه في السجن عندما صرح باسم القاضى أياس بن معاوية، بقوله:

يا أبا حفص، وما ساواك، في فهم، إياسُ
من سنا رأيك لي، في غسق الخطب، إقتباس

(نفس المصدر: ١٣٩)

صحيح بأن الشاعر أراد هنا التعريض بقاض في العراق عُرف بالذكاء والفهم؛ ولكنه يصف صديقه أكثر فهماً وذكاءً من هذا القاضى عندما يقول له: ليس إياس نظيرك ومثلك في الفهم بحيث يقتبس الشاعر من رأى هذا الصديق النير ما يضىء ظلمة الأحداث وهذا يدل على ثقة الشاعر بصديقه الوزير ورجائه به حتى ينقذه من ظلمة السجن.

وفي نهاية القصيدة ينصح صديقه ويسأل منه أن يغتنم صفاء الليالي والتمتع بها؛ لأن صروف الدهر تتربص بالإنسان حتى لا يبقى مجال لاغتنام لذة الحياة إلا في خوف وحذر وتنتهي القصيدة كغيرها من الحسبيات بالرجاء في عفوّه لأن الانتظار واحتمال الآلام والشقاء لقد طال على الشاعر:

وَأَغْتَنِمَ صَفْوَ اللَّيَالِي؛ إِنَّمَا الْعَيْشُ اخْتِلاَسُ

وَعَسَى أَنْ يَسْمَحَ الدَّهْرُ فَقَدْ طَالَ الشَّمْسُ

(نفس المصدر: ١٤٠)

كتب الشاعر قصيدة أخرى وبعث به إلى صديقه أبي القاسم بن رفق ويعاتبه ويذكر فيه أيامه الماضية هكذا يبدأ الشاعر القصيدة مخاطباً صديقه:

عَذْرِي، إِنْ عَدَلْتِ فِي خَلْعِ عُدْرِي غُصْنٌ أثمرتُ ذُرَاهُ بِبَدْرِ
هَزَّ مِنْهُ الصَّبَا، فَتَقَوَّمَ شَطْرًا، وَتَجَافَى، عَنِ الوِشَاحِ، بِشَطْرِ

(نفس المصدر: ١١٤)

يبدو من الأبيات أن الشاعر يعتذر من صديقه بسبب تركه الحياء ويرجو منه المعذرة إن لآمه صديقه في ترك الحياء بسبب غصن أثمرت أعاليه بدرًا، ثم يصف خلالها بعض مشاهد الطبيعة ويشبه قامته بالغصن ويصف تمايل قامته وتحايلها في المشى بقوله: إن هذا الغصن هزَّ الشباب فتقوّم قسم منه وابتعد قسم آخر عن الوشاح.

بعد الابيات العديدة في وصف مشاهد الطبيعة يتذكر أيامه الماضية مع صديقه الوفي الفاضل وأوحد زمانه ويتأسف على الأيام والليالي التي قضاهما مع صديقه ويتأوه على ليلة برز وظهر في ظلمتها ضوء الفجر من ضياء وجهه، ثم يرى أن الوصال واللقاء قصر عمر تلك الليالي ويجب أن تطيل الليالي القصيرة عمره وأخيراً يبحث عن معين ينصره من مخاوف دهر خائن يخاف الشاعر من غدره كل يوم:

يَا لَهَا لَيْلَةً! تَجَلَّى دُجَاهَا مِنْ سَنَا وَجَنَّتِيهِ، عَنْ ضَوْءِ فَجْرِ
قَصَّرَ الوِصْلَ عُمَرَاهَا؛ وَبُودَى أَنْ يَطُولَ القَصِيرُ مِنْهَا بِعُمَرِي
مَنْ عَذِيرِي مِنْ رَيْبِ دَهْرٍ خَوْونٍ كُلُّ يَوْمٍ، أَرَاغُ مِنْهُ بِغَدْرِ

(نفس المصدر: ١١٥)

يشكو الشاعر من فراق صديقه وابتعاده عنه مستعيناً من مشاهد الطبيعة، هذا الصديق الذي كان للشاعر كجنة لعينه في الماضي أما الآن فغدا روضة في فكره وهو ذومعشر حلو بحيث يسر الشاعر ويفرحه بوجهه وترتوى عيناه من ينبوع بشائره إذا يريح الشاعر برؤية صديقه هذا سواءً كان يراه بعينه قبل ذلك أم يصوره في فكره الآن وهو في السجن:

بَانَ عَنِّي، وَكَانَ رَوْضَةً عَيْنِي فَعَدَا الْيَوْمَ، وَهُوَ رَوْضَةٌ فِكْرِي
فِكْرُهُ، يُبْهِجُ الْخَلِيلَ بِوَجْهِهِ تَرَدُّ الْعَيْنُ مِنْهُ يَنْبُوعَ بَشْرِ

(نفس المصدر: - ١١٦)

كما تدلنا الأبيات التي ذكر الشاعر فيها الأوصاف الظاهرية لصديقه وعقله وفهمه وذكائه وأيضاً أخلاقه الحسنة ومزجها بمشاهد الطبيعة وهذا يعد ميزة خاصة لهذا الغرض في حسبيات الشاعر كما يذكر إخلاصه وشكره له ثم يرسم لنا العالم الذي يعيش فيه الشاعر في فراق هذا الصديق عالماً مظلماً ودامساً مع أحداث مرة مظلمة ثم يتمنى أن يُعيد الدهر الزمان الماضي السعيد الذي ١٥ اقضاه الشاعر مع صديقه:

طَرَقَ الدَّهْرُ سَاحَتِي، مِنْ تَنَائِي كَ، بِجَهْمٍ مِنَ الحَوَادِثِ، نُكْرِي
لَيْتَ شَعْرِي! وَالتَّنْفُسُ تَعْلَمُ أَن لِي سَ مَجْدٍ عَلَى الفَتَى: لَيْتَ شَعْرِي
هَلْ لِحَالِي زَمَانِنَا مِنْ رُجُوعٍ، أَمْ لِمَاضِي زَمَانِنَا مِنْ مَكْرٍ

(نفس المصدر: ١١٦)

ومما يلفت النظر هنا استخدام مشاهد الطبيعة بكثرة في وصف أيامه الماضية التي قضاها مع صديقه وهذا مما زاد في جمال هذه القصيدة الحبسية منها هذه التشبيهات والإستعارات الجميلة في البيت الثالث في وصف زمن الذي عاش الصديقان سعيدين جنباً إلى جنب:

حِينَ نَعْدُو إِلَى جَدَاوِلِ زُرْقٍ، يَتَغَلَّغْنَ فِي حَدَائِقِ خُضْرِ
فِي هَضَابٍ، مَجْلُودِ الحُسْنِ، هُمُرٍ وَبِوَادٍ، مَصْقُولَةِ النَّبْتِ، عُفْرِ
تَتَعَاطَى الشَّمُولُ، مُذْهَبَةَ السَّرِّ بَالٍ، وَالجَوْوُ فِي مَطْرَفِ غُبْرِ

(نفس المصدر)

دبج الشاعر هذه الأبيات بألوان متنوعة ومستعارة من ألوان الطبيعة حوله، جداول زرق، حدائق خضر، هضاب محمرة اللون، وديان معفرة بالتراب بارزة النبات، بينما يتعاطى الصديقان الحمرة مذهبة اللون والجو لابس ثوباً رمادياً مغبراً.

وفي نهاية القصيدة يأمل أن يجيبه صديقه وإذا لم يعجل صديقه في الجواب، كان كتابه هذا آخر ما يرسله إليه من السجن، ويدعو لصديقه أن يعيش في السلامة طالما

يلوح في الأفق برق يلمع ويرسل سلامه إليه مادامت الحمايم تغنى فوق أغصان السدر المائلة. إذا أمعنا النظر في هذه الأبيات التي تدلنا على رجاء الشاعر من صديقه من جهة ووعيده من جهة أخرى لأنه يهدده بانقطاع الرسائل إليه إذا لم يجبه صديقه رغم ذلك أنه شاعر متحلي بخلق يلفت النظر وهو دعاؤه لصديقه ولم يتفوه بالدعاء عليه:

وَإِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْجَلْ جَوَابِي، كَانَ هَذَا الْكِتَابُ بَيِّضَةً عَقْرِي
فَاقْبِ فِي ذِمَّةِ السَّلَامَةِ، مَا انْجَا بَ، عَنِ الْأَفْقِي، عَارِضٌ مُتَسَّرِ
وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مَا غَنَّتِ الْوُرُ قُ، وَمَالَتْ بِهَا ذَوَائِبُ سِدْرِي

(نفس المصدر، ص ١١٨)

٨. استلهام التراث

لقد استلهم الشعراء في العصور المختلفة من تراثهم لاسيما تراثهم الديني لتخليد آثارهم طوال الدهر. كما استمد الشعراء من هذا التراث في حبسياتهم ليتصف أدبهم بالخلود والبقاء وهذا ما نجده في روميات أبي فراس الحمداني إذ نرى صدى القرآن وأحداث تاريخ الإسلام فيها^١.

كان لاستلهام التراث وعلى رأسه القرآن دور بارز في آثار ابن زيدون من الشعر والنثر فيعد من الميزات الشعرية لابن زيدون. استمد الشاعر من التراث وعلى رأسه من القرآن في أغراضه المختلفة كما يتجلى في قصائده الحبسية. منها في القصيدة التي أرسلها الى ابن جهور يستعطفه بعد مدحه وذكر آلامه وعذابه في السجن:

نَارُ بَغْيِ سَرَى إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ لُظَاهَا، فَأَصْبَحْتَ كَالصَّرِيمِ
بِأَبِي أَنْتَ، إِنْ تَشَاءُ، تَكُ بَرْدًا وَسَلَامًا، كِنَارِ إِبْرَاهِيمِ

(نفس المصدر: ٢٨٢)

يرسم لنا الشاعر في هذه الأبيات آلامه وعذابه في السجن الذي أسرف فيه ويصور

١. كذلك الله كل وقت يزيد في الخلق ما يشاء

(الحمداني، لاتا: ١٠)

وفارق عمرو بن الزبير شقيقه وخلى أمير المؤمنين عقيل

(المصدر نفسه: ٢٣٣)

ظلم الحساد والواشين وسعاية الأعداء كنار الظلم الذي سرى لهبها إلى جنته الآمنة فأصبحت كالصريم، ثم يخاطب ابن جهور ويقول له: إن هذه النار تصيح سكيئة وبرداً لى كنار إبراهيم إذا أنت تعفو عنى وتصفح عن ذنوبى مستمداً من قصة ابراهيم(ع) فى القرآن وهذه الآية: ﴿قُلْنَا كُونى برداً و سلاماً على إبراهيم﴾ (الأنبياء: ٦٩)

خيانة الأصدقاء وعدم وفائهم بالعهد من الأغراض الأساسية فى القصيدة الأخرى التى نظمها الشاعر فى السجن مخاطباً صديقه الوزير أباحفص بن برد، يستمد الشاعر فى تبين غرضه هذا من القصة المشهورة فى القرآن وهى قصة قوم موسى ومسألة السامرى وينظم مخاطباً صديقه:

ما ترى فى معشرٍ حالوا عن العهد، وخاسوا
ورأوى سامرياً يتقى منه المساس

(ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ١٣٩)

أراد الشاعر من المعشر، أباحزم بن جهور وحاشيته ومن تابعه من أصدقاء الشاعر الذين انقلبوا ضده وتكروا له. «والسامرى هو موسى السامرى صاحب الفتنة الذى جمع ذهب بنى إسرائيل وحليهم وصنع منها عجللاً جسداً له خوار ودعاهم إلى عبادته من دون الله. فى غياب موسى الكليم عليه السلام، فلما رجع النبى وأعاد القوم إلى رشدهم حكم على السامرى بالآ يكلمه أحد من بنى إسرائيل ولا يعاملوه ولا يماشوه». (أحمد غراب، ٢٠١١م: ١٥٥) كما ورد قصته فى القرآن فى سورة طه: آيه ٨٥ - ٨٩. يشبه الشاعر نفسه بذلك السامرى الذى عوقب فى حياته بأن لا يخالط الناس ويشبه موقف آل جهور وحاشيته منه بموقف بنى إسرائيل من السامرى.

يستلهم الشاعر أيضاً من قصة موسى (ع) وأمه فى القرآن (سوره القصص: ٧-١٣) عندما رمت بابنها فى البحر خوفاً من عدوه ليتعزى نفسه ويعتبر فى تحمل أعباء السجن وآلامه وعدم وفاء الأصدقاء وجور الدهر؛ لذلك يدعوا نفسه ألا تكون حزينة؛ بل تخفف بكاءً لأنها ليست أول حرة أعرضت حزينة عندئذٍ يستحضر قصة موسى فى القرآن ويرى أن فى قصة أم موسى عبرة له عندما رمت بابنها فى الماء فعليه أن يعتبر ويعزى:

أمقتولة الأجنان! ما لكِ والهأ؟ أ لم تُترك الأيامُ نجماً هوى قبلي؟
أقلَى بُكاءً، لستِ أولَ حُرّةٍ طوّتِ بالأسى كشحاً على مَضضِ الثَّكلِ
وفي أم موسى عبرةٌ أن رمت به إلى اليَمِّ، وفي التابوتِ، فاصبري واسلي

(ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ٢٤٠)

يبدأ الشاعر قصيدته التي كتبها إلى صديقه الوزير الكاتب أبي حفص بن برد بالشكوى من الدهر ويتذكر آلامه ويأسه وبؤسه وغدر الدهر الذي يعزّ بعض الناس كما يذلّ الآخرين، في هذه القصيدة عندما يتحدث عن اختلاف أبناء الدنيا، منهم الأشراف ومنهم الأذلاء ويستلهم من القرآن أيضاً حتى يشير إلى تعلق الناس بالدنيا ومتعتها بينما ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور:

وَكَذَا الدَّهْرُ إِذَا مَا عَزَّ نَاسٌ، ذَلَّ نَاسٌ
وَبَنُو الأَيَّامِ أَخِيَا فُ: سَرَاةٌ وَخِسَاسٌ
نَلَبَسُ الدُّنْيَا، وَلَكِنْ مُتَعَةٌ ذَاكَ اللِّبَاسُ

(نفس المصدر: ١٣٨)

متعة ذلك اللباس إشارة إلى الآية: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (الحديد:

٢٠)

عندما يسعى الشاعر براءة نفسه عن تهم الواشين في خطابه إلى الأمير ابن جهور واستعطافه عنه، يستحضر واقعة تاريخية هامة من تراثه كما ورد في هذا البيت:

فَلَمْ أَسْتَرِ حَرْبَ الفِجَارِ، \ ولم أطمع مُسَيْلِمَةَ، إذ قال: إني من الرُّسَلِ

(نفس المصدر: ٢٤٢)

هنا يستحضر الشاعر واقعة تاريخية ليتذكر بأن تهم الواشين لا قيمة لها؛ لأنه لم يدخل حرب الفجار ولم يطع مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة.

١. سميت حرب الفجار لأن العرب فجروا فيها إذ قاتلوا في الأشهر الحرم، مسيلمة رجل من بني جفنه ادعى النبوة وعرف بمسيلمة الكذاب (للمزيد من الاطلاع راجع: ابن زيدون. (لاتا). ديوان. شرح و تعليق يوسف فرحات. تعليق الشارح في الهامش: ٢٤٢).

النتيجة

أهم النتائج التي توصلت إليها هذه المقالة:

١. ذاق ابن زيدون طعم السجن المرّ بدلائل مختلف فيها الباحثون وعلى رأسها عامل سياسى وسعاية الوشاة والأعداء وكانت نتيجة هذه التجربة المرّة ظهور خمس قصائد رائعة والتي تعد من قصائد الحبسيات وانعكست فيها الظروف المرة التي قضاها الشاعر في السجن.

٢. تتضمن حسبيات الشاعر على هذه الأفكار والموضوعات الرئيسة: عتاب الأمير الذي كان قبل ذلك ممدوحه، لقد مزج الشاعر عتاب الأمير ولومه بمدحه وهذا شىء جديد في حسبياته بعبارة أخرى كان ابن جهور - ممن حكم بسجن للشاعر - هو من يلومه الشاعر في حسبياته كما يمدحه في نفس الوقت وهذا نوع من الإبداع والجديد عنده، توصيف الحالات النفسية من القلق والآلام والحزن والتي تصور الأيام المرة التي قضاها الشاعر في السجن، كما كان عند القدماء، الشكوى من الدهر الذي جفا على الشاعر ورمته بالمصائب العظيمة، كغيره من الشعراء في العصور الماضية في حسبياتهم، التغزل بذكر حبيبته ولادة في مقدمة القصيدة تقليداً عن شعراء الشرق، استعطاف وطلب الخلاص من السجن والتي تأتي عادةً بعد مدح الأمير أو صديق الشاعر، ذكر مفاخره ومحاسنه حتى يتذكر الأمير بمكانته العالية وهذه المفاخر تشتمل على وجهين: الفخر بأدبه من النظم والنثر ومكانته الأدبية العالية، والفخر بالقبيلة والقوم، وهذا الغرض أيضاً كان مما اهتم به القدماء بالوجهين الذين وردا عند ابن زيدون، ذكر الأصدقاء والأقرباء في السجن الذين قضى الشاعر معهم أياماً سعيدة ويمزج هذا الغرض بالنصيحة والإخوانيات، كما يمزج هذا الغرض بمدحهم ووصف الطبيعة وهذا أيضاً من إبداع الشاعر. وأخيراً استلهام الشاعر من التراث وعلى رأسه من القرآن وقصصه ومن أحداث تاريخية كغيره من الشعراء في حسبياتهم، حتى يزيد على حسبياته تأثيراً وجمالاً.

٣. لايهتم الشاعر بوصف الجزئيات في حسبياته مثل توصيف الليل في السجن أو السجن أو تمنى الموت والتبرأ والاشمئزاز من الدنيا وزخارفها والآلام الجسمية

والوحشة ومرارة القيود والسلاسل وأمثال ذلك، هذه الأوصاف التي كانت مشهودةً في حبسيات شعراء الشرق، وهذا ما يبين الخلاف في نظرة شاعر الأندلس في نظم الحبسيات بالنسبة لشعراء المشرق^١.

٤. إن تعدد الأغراض موجودة في القصيدة الواحدة وتختلف من قصيدة إلى أخرى من مقدمة غزلية، ووصف الطبيعة إلى مدح الأمير وعتابه والشكوى من الدهر والفخر والإخوانيات والغزل وذلك أمر متوقع من شاعر كابن زيدون والذي حذا حذو شعراء الشرق ولكن رغم تعدد أغراضه فهي متناسقه و متقاربة يكمل بعضها بعضاً بحيث يجعلها تتمتع بالوحدة الفنية.

٥. لقد مزج الشاعر أشعار الحبسيات بوصف مناظر الطبيعة ومشاهدها وهذا يدل على تأثر الشاعر من بيئة الأندلس الجميلة والخلافة وطبيعتها النضرة. وهذا هو من إبداع الشاعر في حبسياته بحيث لم نجد مثيلها في حبسيات غيره من الشعراء.

٦. إن الموضوعات والمضامين التي يعتنى بها الشاعر في حبسياته يزيل الستار عن الأحداث السياسية والاجتماعية في عصره عادةً؛ لذلك إن حبسيات الشاعر تدلّ على الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في عصره ومجتمعهم وخاصة بلاط الجمهوريين كما تعبر صورة واضحة من أحوال الشاعر في السجن ويرسم بعض أبياتها فن الشاعر الرئيسي يعني التغزل والذي اشتهر به.

٧. وأخيراً ما كان الشاعر مقلداً بحتاً من شعراء الشرق في نظم الحبسيات؛ بل حاكاهم في بعض الأغراض وترك البعض الآخر كما بيّننا، وتعدد الأغراض في القصيدة الواحدة تعد من معالم التقليد عند الشاعر في حبسياته؛ أما امتزاجها بوصف الطبيعة وعناصرها فكان من معالم التجديد والإبداع عنده.

المصادر والمراجع

الكتب

القرآن الكريم

١. لقد قرأت الباحثة الكتب و المقالات التي بحثت أشعار الحبسيات لشعراء المشرق و وصلت إلى هذه النتيجة بعد قراءة هذه الكتب و المقالات.

- آباد، مرضیه. (۱۳۸۰ش). حبسیه سراپی در ادب عربی از آغاز تا عصر حاضر. چاپ اول. مشهد: انتشارات دانشگاه فردوسی مشهد.
- ابن بسام، علی. (۱۹۸۱م). الذخیره. به کوشش احسان عباس. تونس: لانا.
- ابن زیدون. (۲۰۰۴م). دیوان. شرح وتعلیق یوسف فرحات. بیروت: دارالکتاب العربی.
- _____. (لاتا). دیوانه ورسائله. شرح وتحقیق علی عبدالعظیم. مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- أبو العتاهیه، ابو إسحاق إسماعیل بن قاسم. (۱۹۶۴م). دیوان. بیروت: دار صادر.
- أحمد غراب، سعید. (۲۰۱۱م). أطیاف من تاریخ الأدب العربی ونصوصه فی الأندلس. مصر: دار العلم والإیمان للنشر والتوزيع.
- آذرشب، محمد علی. (۱۳۸۷ش). الأدب العربی فی الأندلس تاریخ و نصوص. تهران: انتشارات سمت.
- أمین مقدسی، ابوالحسن وعبدالوحد نویدی. (۱۳۹۲ش) ترجمة، شرح و تحقیق المجلد الخامس للمجانی الحديثة. تهران: انتشارات دانشگاه تهران.
- توکلی محمدی، محمود رضا وبتول ملکی. (۱۳۹۱ش). مقتطفات من الأدب الأندلسی الشعر والنثر. قم: انتشارات دانشگاه قم.
- الحمدافی، ابوفراس. (لاتا). دیوان. بیروت: دارصادر.
- الركابی، جودت. (۲۰۰۸م). فی الأدب الأندلسی. ط ۶، القاهرة: دارالمعارف.
- ضیف، شوقی. (لاتا). الفن و مذهبیه فی الشعر العربی. ط ۱۲، القاهرة: دارالمعارف.
- عبدالرزاق سلیمان، سالم. (۲۰۱۱م). ترسل الشعراء فی الأندلس. القاهرة: دارالمعرفة الجامعية.
- عتیق، عبدالعزيز. (لاتا). الأدب العربی فی الأندلس. بیروت: دارالنهضة العربية.
- _____. (لاتا). فی البلاغة العربية، علم المعانی-البيان-البدیع. بیروت: دارالنهضة العربية.
- فروخ، عمر. (۲۰۰۶م). تاریخ الأدب العربی. ط ۵، بیروت: دار العلم للملايين.
- قدور، سکینه. (۲۰۰۷م). الحسییات فی الشعر العربی. أطروحة دكتوراه، الجمهورية الجزائرية دولة فی الأدب العربی الحديث، جامعة منتوری قسنطينة.
- المتنبی، أبو الطیب. (۱۹۹۸م). دیوان. شرحه ووضعه عبدالرحمن البرقوقی. بیروت: دارالکتاب العربی.
- المعوش، سالم. (۲۰۰۳م). الشعر السجون فی الأدب العربی الحديث والمعاصر. بیروت: دارالنهضة العربية.

المقالات والدوريات

امیری، جهانگیر وإلهام کاظمی. (۱۳۹۵ش). «مکارم الأخلاق فی سجنیات أحمد سحنون

۱۸. (دراسة وتحليل)». مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها. العدد الثالث والعشرون. صص ۱-۱۸.
- دادمان کوشکی، علی و عیسی داراب پور. (۱۳۹۰ش). «وصف زندان و احوال دورنی در زندان سروده های فارسی و عربی». پژوهشنامه ادب غنایی. دانشگاه سیستان و بلوچستان، سال نهم. شماره شانزدهم. صص ۷۳-۹۷.
- زینیوند، تورج و پیمان صالحی. (۱۳۹۱ش). «حبسیه سرایی در شعر عربی و فارسی (پژوهش تطبیقی: شعر ابوفراس و بهار)» فصلنامه علمی پژوهشی ادبیات فارسی دانشگاه آزاد. شماره ۱۱. صص ۲۹-۵۴.
- طالبیان، یحیی و منصور نیکپناه. (۱۳۸۱ش). «مسعود سعد و ابوفراس و سابقه غزل مستقل». مجلة ادبیات تطبیقی دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه شهید باهنر. شماره ۱۲. صص ۹۳-۱۰۹.
- مرادی، محمدهادی و صحبت الله حسنونند. (۱۳۸۸ش). «رومیات ابی فراس الحمدانی و حبسیات مسعود سلمان». فصلیه التراث الأدبی. السنه الأولى. العدد الثاني. صص ۸۷-۱۱۰.
- مصطفوی نیا، سید رضی و مهدی جباری. (۱۳۸۷ش). «مقایسه عناصر بلاغی - استعاره - در حبسیات خاقانی و ابوفراس» نشریه ادبیات تطبیقی دانشگاه آزاد اسلامی. واحد جیرفت. شماره ۱۰. صص ۲۱۹-۲۴۲.